العدد (4086) السنة الخامسة عشرة - الأربعاء (13) كانون الأول 2017
http://www.almadapaper.net Email: info@almadapaper.net

فصول من كتاب (الثقافة)

للكاتب والمنظّر الأدبي البريطاني (تيري إيغلتون)

(القسم الرابع)

ترجمة وتقديم: لطفية الدليمي

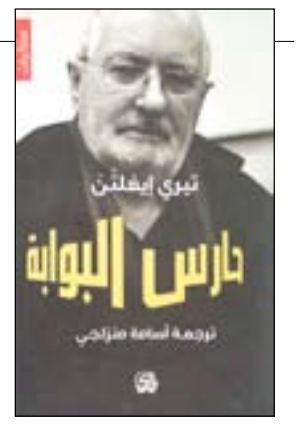

أقدّم في هذا القسم (وأقسام أخرى ستُنشرُ تباعاً) ترجمة لفصول منتخبة من كتاب (الثقافة Culture**) المنشور عن جامعة ييل الامريكية العريقة عام ٢٠١٦ للكاتب البريطانيّ الذائع الصيت (تيري إيغلتون** Terry Eagleton**)، وهو ناقد ومنظّر أدبيّ وباحث في حقل الدراسات الثقافية وسياسات الثقافة. نشر إيغلتون العديد من الكتب وقد تُرجم بعضها إلى العربية (ومنها مذكّراته التي نشرتها دار المدى بعنوان "حارس البوّابة" عام ٢٠١٥. تجب الإشارة هنا أنّ كتاب (الثقافة) هو كتاب مستقلّ ومتميّز عن كتاب آخر نشره إيغلتون منْ قبلُ بعنوان (فكرة الثقافة) وهو مترجم إلى العربية.**

المترجمة

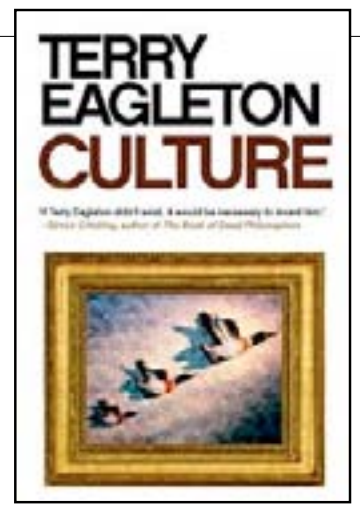

الثقافة والحضارة - تتمّة

هي الحضارة الصناعية، إذن، التي ساعدت على بلورة وولادة مفهوم الثقافة : لم تصبح مفردة "الثقافة" واسعة الإستخدام حتى القرن التاسع عشر ؛ إذ كلّما بدت التجربة اليومية فاقدة للروح ومُفْقَرة أكثر من السابق كان مثال الثقافة يلقى دفعة إرتقائية أعظم على سبيل معاكسة الإفقار الروحيّ السائد، وكلّما توغّلت الحضارة في نزوعها المادي أكثر من ذي قبل كانت الثقافة تُبدي نزوعا مقابلاً أكثر ترفّعاً عن الإهتمامات الدنيوية. إندفع مواطنو الطبقة الوسطى في برلين وفيينّا لتحقيق حلم المجتمع العضويّ غير الملوّث وعلى مثال المجتمع اليونانيّ القديم، وبدت الثقافة والحضارة آنذاك (أي خلال عصر الثورة الصناعية، المترجمة) على تنازع وخلاف ؛ إذ كانت الثقافة أقرب ماتكون لمفهومٍ رومانتيكيّ في حين أنّ الحضارة غدت مفهوماً يُحكى عنه في سياق مفردات لغة عصر التنوير.

لكن برغم كلّ ماسبق فإنّ الحضارة ليست الأطروحة المضادة الوحيدة للثقافة. ثمة إستقطاب متداخل بين مفهومَي الثقافة والبربرية barbarism : إنّ هذين المفهومين المتضادّين في واقع الحال ينتهيان - بالنسبة لبعض المفكّرين - ليكونا الشيء ذاته في قليل أو كثير. هل يعني هذا أنّ الكثير ممّا نحتاجه لبلوغ مرحلة الوجود المتحضّر هو بربريّ بطبيعته؟ ثمة بالتأكيد من يؤمن بهذا الأمر. إذا كانت الفنون - إلى جانب القيم والحقائق الروحية - تمثّل أرقى تمظهرات الرقيّ في العيش البشريّ فسيكون وجودنا البشريّ هذا وتبعاً لهذه الرؤية غير إنسانيّ على الإطلاق، ومع أنّ الثقافة - بهذا السياق من المعنى - تفيد بأن تكون توبيخاً بالضدّ من مثالب الحياة اليومية فإنّها (أي الثقافة) بمعنى الممارسة الرمزية مندغمةٌ في كلّ تفاصيل الحياة البشرية اليومية : أنت لاتستطيع إدارة حقل لتربية الحيوان أو معسكر للجيش من غير ثقافة مرجعية ما، وبالطبع لن تتحقّق هذه الثقافة عبر إذاعة موسيقى ماهلر Mahler السمفونية في حظائر الحيوانات أو من خلال توزيع نسخ من مجلّدات ديدرو Dedirot الموسوعيّة على المراتب المختلفة لمنتسبي الجيش ؛ بل من خلال التعامل مع أنساق القيم والدلالات ذات المغزى، وعلى هذه الشاكلة يمكن أن ترى الثقافة قطاعاً ذا خصوصية مميزة في جسم الحضارة، من الفِرَق التي تستخدم الآلات النحاسية ورياض الأطفال حتى عروض الأزياء والأبنية البازيليكية×، وهذه التمظهرات كلّها تؤشر بُعداً رمزياً في المجتمع كوحدة كلية، وتتخلّل هذه التمظهرات كلّ تفاصيل المجتمع مثل كائن علويّ كليّ القدرة والمعرفة. ليس ثمة فعالية بشرية يمكن أن توجد بصورة متمايزة عن تفاصيل محدّدة في التمظهرات والقيم ؛ وعلى الرغم من أنّ الفنّ قد يجد نفسه على شيء من الشذوذ ازاء السلوك الواجب تجاه المؤسّسات الإجتماعية فهو مؤسّسة إجتماعية قائمة بذاتها ولايستطيع مواصلة البقاء والإستمرارية إلا بمعونة مؤسّسات إجتماعية أخرى. لو أردتَ - مثلاً - خلق رواية (ورقيّة، المترجمة) فإنك ستكون في حاجة ماسّة لمكائن تصنيع الورق ولمكائن الطباعة. إذن، الحضارة هي الشرط المسبّق للثقافة : في كتابه المعنون (في تكوين الكنيسة والدولة On the Constitution of Church and state) يتحدّث صامويل تايلور كولريدج Samuel Taylor Coleridge عن الثقافة في سياق الرّفعة الأخلاقية وباعتبارها أمراً جوهرياً أكثر أهمية من الحضارة ؛ لكنّ الحقيقة هي أنّ الثقافة منتج تخلقه الحضارة ذاتها التي تسعى الثقافة لخلع بعض قواعد المتانة الروحية عليها.

قد يبدو أنّ الثقافة موضوعة تختصّ بالقيم بينما الحضارة موضوعة تختصّ بالحقائق المتجسّدة على الأرض ؛ لكن برغم هذا فإنّ كلاً من المصطلحين يمكن أن يُستخدم بطريقة عُرفيّة وتوصيفيّة في الوقت ذاته. إنّ مفردة "كليّة" الواردة في عبارة (طريقة كليّة للحياة) يمكن أن تعني من الناحية التوصيفية "جميع" ؛ لكنّها قد تعني أيضاً ومن الناحية العُرفية "مُوَحّد، أو تكاملي، أو من غير نقصان"، وعندما حاول أنثروبولوجيّ القرن التاسع عشر إدوارد برنيت تايلور Edward Burnett Tylor تعريف الحضارة والثقافة كليهما معاً باعتبارهما (المركّب المعقّد الذي يحتوي المعرفة، والمعتقدات، والفنّ، والأخلاق، والقانون، والعادات، وكلّ العادات والقدرات الأخرى المُتاحة التي يكتسبها الفرد كعضو في المجتمع) فهو هنا يتحدّث بطريقة توصيفيّة (٦) ؛ أما عندما يصرّحُ شاعر القرن التاسع عشر هنري جيمس باي Henry James Pye في قصيدته (إرتقاء الكياسة) بأنّ (الأفريقيّ الأسود لايعزّز إرتقاء أيّة ثقافة...) فهو هنا يقصد من عبارته هذه أن تنطوي على نبرة تقييمية ؛ فهو يعني أنّ الأفارقة لديهم ثقافة في السياق الذي يفيد بكونها شكلاً من أشكال الحياة لكنّما ليس بالمعنى الذي يفيد إعتبارها نمطاً من أنماط العيش الرفيع : هم - أي الأفارقة - لهم طريقتهم في الحياة لكنّها مفتقدة إلى القيمة. عندما سُئل المهاتما غاندي عن رأيه بشأن الحضارة البريطانية أجاب بتلك الإجابة التي تشي بهزئه الأسطوري : "أرى أنّها فكرة طيّبة"، وهو هنا ينعطفُ إنعطافة مريرة من الحضارة باعتبارها حقائق على الأرض إلى الحضارة باعتبارها أنساقاً قيميّة : فمن جانب لن يكون سلوكاً متحضّراً الركون إلى التعذيب ؛ ولكن من جانب آخر ثمة العديد من الحضارات التي تورّطت في إستخدام صنوف التعذيب الرهيبة، ومن الغريب حقاً أنّ الناس المتحضّرين وحدهم هم من يجرؤ على وضع أصابع الديناميت المتفجّرة في ملاعب الأطفال!.

تيري إيغلتون

لورد بايرون

تي. إس. إليوت

إنّ عمل تي. إس. إليوت (الذي سنناقشُ رؤاه بشأن الثقافة في فصول أخرى من هذا الكتاب) هو مثال طيّب لمثل هذه الإلتباسات الإشكاليّة. يستخدم إليوت مفردة (الثقافة) أحياناً بطريقة توصيفية تعني (طريقة الحياة لجماعة محدّدة تعيش معاً في مكان واحد بعينه) (٧)، وليس هذا التعريف للثقافة بالطبع أفضل التعريفات المتاحة وأكثرها فطنة ومقبولية طالما أنّ الثقافة البريطانية - على سبيل المثال - تضمّ تحت مظلّتها في عالمنا المعاصر جماعات عديدة تتّبع أنماط عيش مختلفة في المكان ذاته (أي بريطانيا، المترجمة) مثلما تضمّ أيضاً أساليب الحياة لبعض البريطانيين الذين يعيشون خارج بريطانيا ؛ لكنّ صياغة إليوت لمفهوم الثقافة تتقاطع تقاطعاً صارخاً مع إستخدامه العُرفي (المعياريّ) للمفردة عندما يتحدّث عن الثقافة (ذلك المعطى الذي يجعل الحياة مستحقّة للعيش) (٨). الثقافة بحسب رؤية إليوت هي أمرٌ يختصُّ بالعادات، والدين، والفنّ والأفكار، وهي الشيء (الذي يجعل أيّ مجتمع مجتمعاً بحقّ) والذي ينبغي بكلّ تأكيد أنّ يشتمل على ماهو أكثر من الكنائس الصغيرة وقاعات الكونشرتو (٩)، ولكي يضاعف إليوت من حجم الحيرة التي يستشعرها القارئ في مفهومه عن الثقافة يمضي أيضاً في الكتابة عن مستقبل (يمكن القول بإحتمال أن تنعدم الثقافة فيه) (١٠)، وهذا أمرٌ ليس من السهل أبداً فهمه في سياق تناغم كامل مع الإستخدام الانثروبولوجيّ لمفردة (الثقافة) والذي يعنيه إليوت في كتاباته السائدة ؛ فقد يستطيع المرء تخيّل مجتمع من غير فنون وأديان، أو مجتمع ليست الحياة فيه بمستحقّة للعيش ؛ لكنّ موضوعة أن تغدو (طريقة الحياة) ذاتها مفتقدة لطريقة الحياة (أي للثقافة) فتلك مسألة عسيرة ومتناقضة مع أصل فكرة إليوت عن الثقافة.

× *نوع معماري مميز من الأبنية، وبخاصة الأبنية الكنسية، تكون في العادة مستطيلة الشكل، وتُنشأ على صحن مركزي مع ممرّات جانبية، وثمة في العادة منصات جانبية عالية تنتهي بجزء ناتئ مزخرف نصف دائري على كلا جانبي المبنى أو في جانب واحد منه، ويعدّ هذا الطراز المعماريّ هو طراز الكنائس الذي ساد في أوربا وأمريكا لكنّه تضاءل في القرن العشرين.*
(المترجمة)

منطقة محررة

▪ نجم والي

العرب المطاردون من ديكتاتورياتهم

في سبتمبر ٢٠١٦ جئت لمدينة غراتس بصفتي شتاتسشرايبر (كاتب المدينة)، أقيم على قمة هضبتها العالية في مركز المدينة، في قصر تشريني الواقع على منحدر الهضبة، لمدة عام، في ذلك البناء الذي يعود طراز بنائه للقرن التاسع، ١٨٢٠ بالضبط، وأحد مواقع التراث العالمي لليونسكو، والذي هو منذ عشرين عاماً وبعد ترميمه بين عام ١٩٩٥ وعام ١٩٩٧، مكاناً لعمل للكتاب و ملجئاً للفنانين المطاردين في بلدانهم، أجلس هناك في هذا البيت الجميل، أكتب بهدوء ومن خلال شباكي، أرى المدينة تحت نظري، تمتد بأبنيتها وشواعها عند نهاية المنحدر في الوادي، أنها مدينة صغيرة مقارنة ببرلين، حيث أقيم أصلاً، لكنها جميلة بمعمارها وخضرتها، فقط في أيام الشتاء، في تلك الليالي التي يكثر فيها الرعد والبرق والمطر، والتي أكون فيها وحدي في القصر، كان يصعب عليّ النوم أحياناً، نوع من الخوف يستحوذ عليّ، على الأقل حتى زيارتي لمخل حلاقة "المقص الذهبي" في غراتس.

عثرت على المحل بالصدفة، في شارع إدولفغاسة، في الحقيقة لفت نظري الاسم، "حلاقة المقص الذهبي"، يا للإسم الأسطوري، فكرت، كأن الرجل قادم من حكايات ألف ليلة وليلة، لماذا لا أجرب حظي هنا، خاصة وأن شعر رأسي طال؟ كان باب المحل مفتوحاً، رأيت رجلين يجلسان على يسار الصالون في العمق، فصلتهما ستارة صغيرة، تشبه ستارة حمام، كأن الرجلين جلسا بشكل تآمري، ينظران من طرف الستارة لكل قادم جديد، أحدهما عمره في الخمسين، الثاني في الثلاثين، الأول هو الحلاق، الثاني صديقه، الإثنان جاءا بقارب واحد ٢٠١٥، هاربين من سوريا.

بعد السؤال عن الصحة والأحوال روى لي الحلاق، كيف أنه أختار بنفسه المجيء إلى غراتس، كان قبلها في فيينا، في معسكر للجوء، لكنه عندما بحث في الانترنيت عن فرصة للعمل في النمسا، وجد أكثر الفرص في غراتس. فرحته تمت "على نصفها"، لماذا؟ أنها العنصرية، يا أخي، قال، رغب أصلاً فتح محل حلاقة للرجال والنساء، لكن العجوز في مكتب العمل، عنصرية، قالت له، كيف تريد إذن أن تحلق وتصفف شعر النساء وزوجتك تغطي شعرها؟ وعندما قلت له، ربما المرأة على حق، لا علاقة للأمر بالعنصرية، أجابني، لكي يثبت لي العنصرية هنا، روى كيف أن صديقاً له، جاء معه، عمل في الإمارات العربية المتحدة استاذاً في الجامعة، وللصدفة حكى في مكتب العمل، أنه كان يعتني بحديقة بيته، فما كان من العجوز أن قالت له، إذن تعمل حدقجي في غراتس. حدقجي والصديق يريد العمل استاذاً للأدب الانكليزي في الجامعة؟ سألته، هل يتكلم صديقك الالمانية؟ ما هي حاجته للألمانية، إذا كان يُدرّس إنكليزي؟ قال لي، ثم هو يتكلم الألمانية وأحسن من العجوز، تعلمها في أبوظبي، أجابني، هنا تدخل الصديق الصغير السنّ، ربما خجل من مبالغات الحلاق، سألني، إذا كنت قادماً من المانيا؟ ثم سألني عن مدينة غيسين، وهو يسألني، لأن صديقاً له، يصر على الذهاب إليها، كلما أرسلوه إلى معسكر للجوء في النمسا، يقدم عريضة للانتقال إلى غيسين، رفضوا طلبه، الآن يخطط للهروب إلى غيسين. لكن لماذا ليس مدينة غيرها؟ سألته، لا أدري، قال، كيف لا تعرف، قلت، لم أسأل صديقي، أجابني، وربما أثار الحاحي بالسؤال الحلاق، لأنه تدخل هذه المرة، موجهاً كلامه إلى صديقه، عليك أن تقول له أي سبب كان، لأن الأخ، قال وهو يؤشر بالمقص ناحيتي، يعمل رجل أمن.

أمر عجيب، قلت لنفسي، يأتي العرب يفرون من بلدانهم، ويرون الشرطة السرية تطاردهم في كل مكان، الحلاق سوري، ومن عاش في بلاد يحكمها ديكتاتور، لا يستطيع أن يفكر بغير ذلك.

أكتب بهدوء ومن خلال شباكي، أرى المدينة تحت نظري، تمتد بأبنيتها وشواعها عند نهاية المنحدر في الوادي، أنها مدينة صغيرة مقارنة ببرلين، حيث أقيم أصلاً، لكنها جميلة بمعمارها وخضرتها

تواصل عروض المهرجان.. ولأول مرة المهرجان يناقش الدراما العربية

دبي: علاء المفرجي

تتواصل عروض مهرجان دبي السينمائي بمختلف مسابقاته، فتشارك المخرجة البرازيلية جوليا باشا بفيلمها المشوّق «نائلة والانتفاضة» الذي يروي عن الحب والعائلة والحريّة.

يتناول الفيلم قصة «نائلة عايش» ومجموعة من النساء الفلسطينيات اللواتي برزن من صلب المجتمع الفلسطيني خلال الانتفاضة الأولى في أواخر الثمانينيات، ويعكس الفيلم شجاعتهن في تحدي الاحتلال الإسرائيلي، من خلال توزيع منشورات للإضراب عن المنتجات الإسرائيلية، وهو ما تعتبره إسرائيل جُرماً. لكنّ النساء، يواصلن ذلك، وتفعل «نائلة عايش» ذلك فيما تحمل ابنها الرضيع على كتفها.

جوليا باشا حائزة على عدة جوائز منها «جائزة بيبودي»، وقد عُرض فيلمها هذا لأول مرة عالميًا في «مهرجان نيويورك للأفلام الوثائقية» ومن ثم في «مهرجان أمستردام للأفلام الوثائقية» هذا العام.

وتحضر قضية اللاجئين السوريين من خلال فيلم «لا تتركني» الذي يتحدث عن صداقة ثلاثة أيتام مهاجرين في مخيم للاجئين السوريين في تركيا، ويستند إلى عالمهم، ويروي قصصهم من منظورهم، ويعكس الأمل والحب الذي يشعرون به. تنشأ بينهم صداقة نتيجة سعيهم وهدفهم المشترك لإيجاد حياة أفضل خارج المخيم، ورغم اختلاف طباعهم وخلافاتهم في معظم الأحيان. يتعلم الأصدقاء الثلاثة أهميّة الاعتماد على بعضهم البعض أثناء مواجهة المصاعب لاجتياز الأخطار. يحضر في التمثيل: كارول عبود، نسرين فاعور.

وينضم إلى المهرجان لأوّل مرة، المخرج الهندي الحائز على جوائز عدة، ديبيش جاين مع فيلمه السيكولوجي الدرامي «في العتمة" (In the Shadows) ومن بطولة مانوج باجبايي. قُدم الفيلم في عرضه العالمي الأول في «مهرجان بوسان السينمائي الدولي" هذا العام، ومن ثم عُرض في مهرجان «شيكاغو السينمائي الدولي».

يتناول الفيلم قصة خدّوس، وهو رجل وحيد يسكن في مدينة دلهي القديمة، يراقب الناس من خلال كاميرته الخفية. وفي أحد الأيام يبدأ بالبحث عن فتى سمعه يتعرّض للضرب خلف جدران منزله، حتّى يصبح مهووساً به ويفقد سيطرته على الوقت والواقع.

وضمن النشاطات المصاحبة عقدت إدارة المهرجان بقاعة المؤتمرات بمدينة جميرا، مؤتمراً صحفياً، للمرة الأولى في تاريخه يتحدث عن الدراما والمسلسلات التلفزيونية لعام 2018.

حضر المؤتمر الصحفي الفنانتان منى واصف والمصرية يسرا، والمنتجان المصري جمال العدل، واللبناني صادق الصباح، المخرج سامر البرقاوي، والفنان عبده شاهين، وعلاء كركوتي، مدير ومؤسس شركة «ماد سوليوشن».

وأعلن خلال المؤتمر عن الأعمال المقرر عرضها خلال رمضان المقبل لشركة «العدل» جروب، وجاء في مقدمتها مسلسل تعود من خلاله النجمة شريهان للدراما الرمضانية، وآخر بعنوان «اختفاء" لنيللي كريم. ويعود الفنان محمد هنيدي مجدداً للعمل مع «العدل جروب» من خلال مسلسل بعنوان «أرض النفاق" وهو مأخوذ من فيلم بالعنوان نفسه للفنان فؤاد المهندس والقصة ليوسف السباعي. وأعلن أيضاً عن مسلسل جديد لمحمد رمضان بعنوان «زين» ويقدم من خلاله شخصية ضابط بالقوات المسلحة في إطار معالجة لقضية قصة وتصدي القوات المسلحة والشرطة المصرية للإرهاب.

وفي إطار عروض افلام الواقع الافتراضي وفي رحلة تثقيفية، تعرض الكاتبة الإيطالية «ڤالينتينا پاجّاريني» فيلمها «أحلام بلو" (Dreams of Blue)، حيث تستكشف القصة ما يجري داخل «عقل» آلة ذكاء اصطناعي، تتحوّل إلى كيان منفرد؛ فتنتقل بين الوعي والإدراك الذاتيين، وتتأمل في معنى الحياة بناءً على ما تطّلع عليه من خلال الإنترنت.

كما يُعرض أيضاً فيلم «ليجيندا» (Leggenda) للمخرجة ليزلي ليفي، الذي يحتفي بعالم ملئ بالدهشة وباستثارة العواطف. عالم من الموسيقى، والحركات البهلوانية المثيرة. يؤدي هذا العرض فنّان سيرك، وثنائي عزف على البيانو والكمان. ويقدّم الأربعة عرضاً أنيقاً مفعماً بالعاطفة.

وينضم المخرج المستقل والصحافي «إيميليانو روبراه" ليعرض فيلمه غير الروائي «سائح حرب" (صصص) في عرضه العالمي الأول، والذي تم تصويره في الموصل، شمالي العراق، وفي محيطها في أثناء الهجوم لاستعادة المدينة. نظرة شخصية إلى الدوافع خلف تصوير الحرب، واستكشاف الدور الذي تؤديه الصور في إضفاء الطابع العسكري على المدنيين. على مدى تسع وعشرين دقيقة، يتابع المشاهد صحافيّ حرب جديد، وهو يتوغّل في "قلب الظلمة" ليستوعب الصراع عند الجبهات الأمامية. وعندما يصطدم وجهاً لوجه مع عمل عنف، يُجبر الصحافي على إعادة النظر في فهمه للصراع، ما يدفعه إلى إعادة تقييم دوره الشخصي في معاودة سرد وقائع الحرب صحافياً. صُوّر الفيلم على مدى بضعة أيام غاية في الخطورة في دائرة الحرب، لذلك فهو أقرب ما يكون إلى وقائع القتال الفعلية.